(١٥)

الله لنا كل هوانا وكل معنانا وكل مبنانا
ليس لنا غيره ولسنا فيه غيره
بوصلتنا بالرسول، إلينا فينا منا، ليس غيره، ولسنا له غيره

حديث الجمعة

٣ ذو القعدة ١٣٨٧ هـ - ٢ فبراير ١٩٦٨ م

الله لا إله إلا هو الحي القيوم، به نؤمن، وبه نعمل، وبه نقوم، وبه نحيا، وبه نبقى وندوم.

إن الله لنا، وإن الله عندنا.. وإن الله من حولنا.. وإن الله معنا.. وإن الله فينا، هو ديننا وهوانا، وهو مشغوليتنا ومعنانا.. هو روحنا ومبنانا.. هو وجودنا، بموجودنا، له أوجدنا، ولنفسه رعانا، وبرحمته عنانا، وبكرمه وجوده تولانا، ويطورنا لحقنا من خلقنا، في مبنانا ومعنانا.

إن الله لنا، كل هوانا، وكل معنانا، وكل مبنانا، وكل دنانا، وكل علانا، ليس لنا غيره، وما عُرف لغيرنا، ولسنا فيه غيره، وليس لنا غيرنا.

إنه الحياة بكل معانيها.. إنه الحياة بكل مبانيها، لا تصلح لنا حياة إلا يوم أن نحياه، ولا نحياه إلا بصالح الحياة.

هو صالح الحياة.. هو نافع الحياة.. هو داني الحياة.. هو باقي الحياة.. هو دائم الحياة.. هو رفيع الحياة.. هو رافع الحياة.. هو مرفوع الحياة.

لا إله إلا الله، ولا موجود بحق إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا عون ولا قدرة إلا من الله، ولا سير إلا إلى الله، ولا جيئة إلا من الله.

منه جاء الإنسان، وإليه يصير الإنسان، وبه يقوم الإنسان، وتحت لوائه يعمل الإنسان، تحت الإنسان وفوق الإنسان وفي الإنسان، لخير الإنسان.

إن الحياة على أرضكم، في كل أزمانها، وبكل ألوانها، وبأمكنة ظهورها وفي شمول أمرها، في قديمها، وفي قائمها، وفي قادمها، إنما تهدف إلى ما تهدفون إليه هنا، إلى ما تهدفون إليه معنا، إلى ما نهدف إليه معكم، إلى ما يهدف إليه جمعنا وفردنا من إعلاء كلمة الله لنا في قائم كلمة الله لمعنانا، وفي قائم الوجود لمبنانا، برسول الله لمبنانا ومعنانا إنسان ما قبل آدم، محمد عرفناه وأوادم به له فيه صرناه، قريبا وصلناه، وحقا لاقيناه، في بيوت قلوبنا اجتمعناه ووحدناه، مجددين مبانينا لمبناه، مغيرين ما بها لمعناه، بشهادتنا لنا محمدا رسول الله، قائد ركبنا، وروح قيامنا، في قائمنا بنا عبادا لله، في حصن لا إله إلا الله، مأوى لنا دخلناه، وبيتا لها قمناه، وللوجود رحمة عنوناه، وأبوابه للناس فتحناه، أُمة لا إله إلا الله لأسماء الله، وأُمة محمد رسول الله لإنسانية الله، وأُمة من الله لكلمات الله، أُمة الله لعوالم الله، ورسالة الله لحديث الله، وكتاب الله لهدي الله، وجمع كائنات الله لإحاطة الله، ووجوه الله لشهود الله، وأسماء الله لذات قرب الله، ومعاني الله لروح الله، وهياكل الله لقدس وأقداس الله.

إن ما تشهدون في عصركم، وإن ما يتهيأ من الأسباب لبروز أمركم، أمر لا يخفى على عقولكم، ولا يجحد عند نفوسكم، ولا يغيب حسه عن أرواحكم.

إن الحياة في مشارق الأرض وفي مغاربها، وفي أعالي الأرض وأوساطها ودانيها، تتهيأ لأمر جلل، تتهيأ للحق، تتهيأ لملكوت السماء على الأرض، تتهيأ لعدل الله، تتهيأ لحكمة الله، تتهيأ لنفاذ نبوءات كتاب الله، تتهيأ لسفور حقائق الله بينكم، وامتدادها فيكم ومن حولكم، تتهيأ لظهور وجوه الله بكم لكم، تتهيأ للا إله إلا الله.

تتهيأ لمحمد رسول الله، وأمر الله، وعبد الله، وحق الله، زويت له ولأُمته الأرض كتابا، ولم تجعل بينه وأمته وبين الله حجابا. كسب وأُمته منها ذكر الله، وجافى بها وجافوا معه كل ما سواه، عرفها وعرفوها معه جيفة، وعرف وعرفوا طلابها كلابا، فلم يشارك ولم يشاركوا الكلاب على جيفتهم، وتركها وتركوها لهم، وأخذ وأخذوا ذكر الله، لم يفرط ولم يفرطوا في شيء من أمره وأمرهم به متأملين متبصرين، متعلمين في أمر حكمته، وفي مراده برحمته بالكلاب من خليقته.

رائيا ورائين معه رحمته بالحجاب، وقارئا وقارئين معه عظمته في الكون بالكتاب، متجولا ومتجولين معه في الوجود لقائم المحراب، متحررا ومتحررين معه من سجن السماوات والأرض إلى حيث لا أرض، ولا سماوات، فالسماوات والأرض ومثلها وإن عظمت وإن جلَّت، فما كانت إلا في ملك الإنسان، يوم كان الإنسان، في ملك الرحمن.

فالإنسان بحقه في مطلقه، ما كان إلا إنسانا لإنسان، إنسانا لإنسان من فوقه، وإنسانا لإنسان من دونه، إنسانا وسطا، عرف الأعلى من الإنسان معه برباط له به، وعرف الأدنى من الإنسان، هو الحق معه، برباط له به.

عرف الأعلى، رفيقا أعلى، وعرف الأدنى، رفيقا هو عليه بالأعلى علا، على ما عليه الأعلى بأعلى علا ويعلو، رآه في نفسه، لنفسه الأعلى، في متابعة لأعلى، هو له به سر متابعة الأدنى له بموصوفه الأعلى عليه، ويتابعه من بعده متابع ومتابع، ويتابع هو الأعلى، إلى مقام أعلى، ورفاق أعلى، أعلى فأعلى، إلى لا انتهاء، في دورة خالدة دائبة، تكمل في علاها، وتواصل جديد بدايات لدناها، لعروجها في مراقيها في علاها.

بذلك عرف الإنسان، بين إنسانين، لمعنى أبويه، أو لقائم ولديه. كان بعاليه إلى أسفله، وبأسفله إلى عاليه، في معراج وارتقاء لا يتوقف، ولا ينقطع، وقد غاب عن معاني الأعلى والأسفل لذاته وصفاته، وعرفه بقائمه، وبقيومه، وبما قام هو عليه، إنما هو قيام واحد بوحدانيته في وحدانية الله بآحاده، مع أعلى فأعلى يتوحد، ويتسع، ومع أدنى فأدنى يتحد، ويتواجد. عرف الله لنفسه في نفسه لقائم الأكبر والأكبر، فقدَّر الله حق قدره، وعرف الله حق معرفته.

هذا هو إنسان الإسلام، وهذا هو عبد الله، وهؤلاء هم عباد الرحمن في دين الفطرة، في دين صبغة الله.. في قائم فطرة الله، فطر الناس عليها، فطرته للسماوات والأرض لهم، بحقه صبغهم وبحقه بهم صبغها. (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[1]، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[2]، لو كانوا يعلمون عن خلق أنفسهم، {وما كنت متخذ المضلين عضدا}[3].

فلا تضيقوا ذرعا بما تشهدون في هذه الأيام من حولكم، من حماقات الإنسان، من سفاسف الإنسان، من بُعد الإنسان عن الجادة، وإغراقه في التافه.. بل إغراقه في نقيض الجادة في البهتان، في الكذب، في النفاق، في العزة بالإثم، في الكبرياء بالوهم، وقد جعله الله برد عمله إليه، وقودا لنار قيامكم، بجذوة الله، نارا بها تصلصل قوالب الصالحين منكم، لاستقبال ماء الحياة، ونور الحياة بزجاجتها ومصباحها في مشكاة صدوركم.

فالإنسان في كنوده لحقي موجوده، يريد أن يخفي ضعفه عن نظره، وعجزه عن إدراكه، زاعما القوة، والعزة، والإرادة والقدرة، مدعيا الرحمة، والسلام، والعدالة، والإنصاف، وهو على نقيض ذلك كله يعمل، ويدأب على العمل، تحكمه الحماقة، ويزعم الحكمة.

{ولا يغتب بعضكم بعضا}[٤]، {ولا تجسسوا}[٥].. ولكن الإنسان بحماقته أصبح الحق عنده في التجسس.. والسياسة والحكمة في التجسس، والمعرفة والعلم في الجاسوسية.. أقمار في السماء تدور للتجسس.. طائرات حول الأرض، تعمل، ليل نهار للتجسس.. سفن مزودة بأجهزة العلم، وإمكانيات الطبيعة تتجول في كل البحار للتجسس.. غواصات تمخر البحار تحت الماء، تكشف الأسرار للتجسس.. أجهزة المخابرات ينفق عليها المليارات في كل بلد للتجسس.. أجهزة للأمن تفسد أمن الناس وتزعج كل أمن، لتحفظ الأمن لنفوس الحكام، عن طريق التجسس.

هؤلاء هم الحمقى! لو أنفقوا هذه الأموال، ولو خصصوا هذه القوى والقدرات، ولو بذلوا هذه الهمة وهذا الجهد، لاستلال السخائم من نفوسهم، ولنشر المحبة بينهم، ولغرس بذور الإيثار في قلوبهم لكانوا جميعا الأنبياء، ولملئت الأرض بالأولياء، ولرأينا شعوب الأرض جميعا من الأتقياء.

ولكنه خور الداخل، في نفوس تتوارث ظلام الآباء، وتورِث ظلامَها للأبناء، فلا نور الآباء استمدت ممن نار منهم، ولا بإشراق مشكاة الصدور، أبناءها أمدَّت ممن صلح بينهم، وموائد الله، في كل زمان أعدت، وبعباد الرحمن على الأرض مدت.

ولكنه عمى القلوب، ولكنه صمم القلوب، ولكنه بؤس القلوب، ولكنه فقر القلوب، ولكنه فاقة العقول، وثراء الفتنة، وكنوز الفتون، أمرا استشرى في مادة الحياة لقوالب النفوس، التي سخرت لكسب الحياة بهياكل الوجود، وخص بعضها لتحقيق الخلاص والنجاة كسفن لطريق الحياة، وعرفت ونسبت لأصحابها ومن صحبهم ولكن الناس أساؤوا، ويسيئون استعمال أجهزتهم ويفسدون إعمالها لخيرهم.

فيجعلون منها بجهلهم أجهزة هدامة للحياة في ملكيتهم، يسألون أيان يوم القيامة، ينتظرون موهوم قيامة من رسمهم، وهم بقائمهم يحملون بين جوانحهم، كل قيامته، وكل في الله ساعته، (لكل منكم قيامة)[٦]، (لكل منكم ساعة) [٧]، فما تكون القيامة؟ وما تكون الساعة بعد هدي النبي، وبعد هدي الله {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[٨]؟

إن القيامة لكم، يوم تقومون بالحق فيكم، وتجافون قائم الباطل معكم بمادي نفوسكم يجري منكم مجرى الدم، إنها لمحة يقظتكم، إنها يقظة لبابكم، إنها نفخة الحياة، بأنفاس الحياة من الأحياء بينكم، مضاعفة للحياة لكم، وتجديدا لمولد الروح فيكم، تدعون بأئمتكم، تُنسبون لهم بحقيقتكم، ينفثون روح الحياة، من خلال أسواركم، بجلودكم، فتستقر الروح، من أمر الله بكم، في بيتها من قلوبكم، جديد مولدكم.

نفثات الحياة منهم، باسم الله لهم، تشعل بها سُرج قلوبكم، في مشكاة صدوركم، فتنار وتشرح لكم كتب ذواتكم، لمرآة السماوات والأرض فيكم، لقائم الأرض والسماوات لكم، بقائم الحق لكم، وفي معيتكم، هو لكم على كل نفس قائم، هيا كلكم هي له وجهه، وهو من ورائها بإحاطته.

أينما تولوا فثم وجه الله، وجه الله أمامكم، فكيف تنتظرونه لغدكم؟ ولِمَ لا تشهدونه ليومكم؟ هلا امتدت أيديكم، فَمزقت حجب المادة تحول بينكم وبينه، هلا كشف الغطاء عن قلوبكم، فرأيتم بقلوبكم، قلوب ما تشهدون من أشيائكم.

فصرتم قلوبا تتلاقى مع قلوب، يؤلف ناموس الله بينها، فتغفر الذنوب، وتنقضي العيوب، وتفرج الكروب، وتستر المثالب، وتزرع المتارب، وتتحقق المطالب، ويُظهِر الله.. فيكم ومن حولكم.. بكم وعليكم، جنان وجوده، ونار وقوده، وحاضر موجوده، ونور شهوده ...

تعرفون الله، لأمركم، لقيامكم، لذواتكم، لأرواحكم، لعقولكم، لنفوسكم، تعرفونكم الإنسان، في أي صورة ما شاء ركبه، وفي كل معراج إليه قربه، وفي أي مستوىً قام طلبه، وزاده من روحه ومن نوره فقربه، يوم كوره ونشره، يوم صوره وأغفله، ونورا غفلا تواجده، وصورا عدده، قامه فشهده، وأقامه فأشهده، بلا إله إلا الله سوده، وبمحمد رسول الله حفظه وعدده، فعرف الله لنفسه، وعرف الله لوجوده، وعرف الله في أمة رشاده، وعرف الله في عليائه، وعرف الله في دناه، وعرف الله في أخرياته. شغله الله، فلم يرَ إلا الله، ولم يعرف إلا الله، فشهد أنه لا إله إلا الله، وأنه قام محمدا رسول الله.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين، فارحمنا، وارحم بنا، وارحم منا.

اللهم بمن جعلته على الخُلق العظيم، فقومنا، وأدبنا، ويسر أمرنا.

اللهم بمن جعلته منك إلينا، فحققنا، وغير ما بأنفسنا، وامحنا عنا، وابعثنا به، قياما له، وظلال حقه.

اللهم بمن زويت له الأرض، لا تخرجنا من دائرة وجوده وشهوده، ولا تعرضنا إلى غفلة بلائه، وقطيعة ابتلائه، واجعلنا له، واجعله لنا، في قائم حقك، لقائم وجودك، به بنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك

اللهم به فاكشف الغمة عن الأرض، وعن هذا البلد، وعن بلاد المسلمين، وعن أنفسنا، وعن حكامنا، وعن أئمتنا ومجاهدينا، وعن قادتنا ورعاتنا، وعن المتابعين والقاعدين منا، وكن لنا به في الصغير والكبير من شأننا.

وبه فولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا برد أعمالنا علينا، وعافنا واعفُ عنا، واغفر لنا وارحمنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(من يقع نظرنا عليه، ليس موجودا ولم يخلق بعد، ونحن لا نختار إلا من قلب الإمام. وقليل من عالمكم من يدخل إلى عالمنا وهو منسوب إلى أسرة. إن عالمنا يعمل في جماعات اتحدت قلوبها، ولا يعرف الفردية، إن الملأ الأعلى لقائم الرشاد والحكمة في مطلق الوجود، لا قيمة فيه للأشياء، ولا محل فيه للتقييد في الصور).

من هدي الروح المرشد سلفربرش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

٢ سورة غافر - ٥٧

٣ سورة الكهف - ٥١

٤ سورة الحجرات - ١٢

٥ سورة الحجرات - ١٢

٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٨ سورة ق - ١٩